علم اللغات :

فيما يتصل بمصطلح " علم اللغة " فالظاهر أن التراث العربي في ميدان الدرس اللغوي لم يعرف - في ظني - في القرون الأولى هذا الاصطلاح للدلالة على أي نشاط علمي ، أو منهج مستقل في دراسة اللغة ، وإنما كان يكتفي بكلمة اللغة للدلولة على جمع المفردات ، وتبويبها ، وعمل المعاجم ، أي ما يتصل بشكل عام بدراسة المفردات وتصنيفها .

غير أنه من الملاحظ الإشارة الى ما يسمى " علم اللغات أو " علم اللغة " عند بعض مصنفي العلوم العربية في القرون الأخيرة .

فالسيوطي يشير في "المزهر" (١) إلى علم اللغات ، ويعنى به البحث في أصل اللغات ونشأتها ، وهل هي توقيف أم اصطلاح ، ويمضي في استعراض الآراء المذهبية في هذا الشأن ، والتي تنوعت وتباينت تباين أصحابها . وعالم آخر يعرف " بعلم اللغة " بعد السيوطي فيقول : " علم اللغة علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي ، وعما حصل من تراكيب كل جوهر ، وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي ، وعن معانيها الموضوعة لها بالوضع الشخصي " ، ثم يحدد موضوع هذا العلم بقوله : " وموضوعه جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الدلالة على المعاني الجزئية " (٢) .

وعلى ذلك فان علم اللغة عند القدماء - كما يمكن أن نفهم من

---

(١) المزهر ، ١/ ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) طاشكبرى زادة : مفتاح السعادة ، ١/ ١٠٠

هذين التعريفين أو التصورين يشمل النظر فى أصل اللغة ، والبحث فى الألفاظ المفردة ودلالتها ، وفى الحروف التى تتركب منها الكلمة ، بالإضافة الى بعض الجوانب الصرفية المتصلة بذلك ، ثم يحدد " زاده " الهدف من وراء هذا العلم فيقول : " وغايته الاحتراز عن الخطأ فى فهم المعانى الوضعية ، والوقوف على مايفهم من كلام العرب ، فهو إذًا علم معيارى يبحث فى الصواب والخطأ فى استعمال الألفاظ من حيث الدلالة والاشتقاق والتركيب " (١) .

وهكذا يمكن القول بأن مصطلح " علم اللغة " ، وعلم اللغات فى التراث العربى كانت تعنى دراسة الموضوعات التالية :

(أ) البحث فى نشأة اللغة وأصلها . كما أشار السيوطى

(ب) البحث فى جمع الألفاظ وتدوينها وروايتها

(جـ) النظر فى دلالة الألفاظ واشتقاقاتها

(د) دراسة بعض الجوانب الصرفية والصوتية

ولكن صورة الدلالة للمصطلح تغيرت حديثا نتيجة للتطور الهائل الذى أصاب التفكير اللغوى فى القرن التاسع عشر على أيدى (بوب ، وجريم ، ويل) ، " فقد أوجدوا مستويات للتحليل اللغوى الصوتى والصرفى والنحوى واللفظى ، الذى يختص بدراسة الكلمات المفردة ، ومعرفة أصولها وتطورها التاريخى ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها " (٢) .

وهنا ثمة سؤال يفرض نفسه ، هل هناك تشابه بين ما أطلق عليه القدماء علم اللغات ، ومفهوم علم اللغة عند المحدثين ؟ . والجواب على ذلك يسير، ذلك أن دلالة المصطلح قديما هى جزء من دلالته الواسعة

---

(١) انظر : المصدر السابق ، ١٠١/١

(٢) ماريو باى : أسس علم اللغة ، ت. احمد عمر ، ٤٣ — ٤٤ .

المستحدثة ، غير أن هناك تقابلا بين مفهومى " زادة " و " المحدثين "(١) فى تحديد معنى المصطلح .

يظن البعض من ذلك المدلول الاصطلاحى لذلك المصطلح " انه دراسة الصرف أو النحو أو الاشتقاق ، ومعرفة الشوارد النادرة وحواشى الكلام ، وتمييز الكلام الفصيح من غيره ومعرفة معانى الكلمات وتمييز الدخيل من الأصيل ، أو الانشغال بتأليف المعجمات أو غير ذلك من تلك القضايا الجزئية على نحو ما جاء فى المزهر أو فقه اللغة للثعالبى أو خصائص ابن جنى .

وقد يغرقون " فى الظن بأن علم اللغة مقصور على البحث فى الثروة اللفظية ، أى الألفاظ والمفردات ، أى أنهم يجعلون علم اللغة مرادفا للمصطلح العربى القديم " متن اللغة " خلطا منهم فى الاستعمال بين كلا الاصطلاحين "(٢) وفى ظنى أن الذى أوقعهم فى هذا الخلط ، الاستعمال التقليدى للمصطلح علم اللغة الذى ورد ذكره بهذا المعنى الذى أشير إليه كثيرا فى كتب اللغة العربية القديمة علاوة على بعض المؤلفات الحديثة كدراسات فى فقه اللغة ، لصبحى الصالح ، وفقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى .

---

(١) د . وافى فى علم اللغة ، د . حجازى ، مدخل الى علم اللغة ، أسس علم اللغة ، ٦٦ ـ ٧٣ ، علم اللغة العام ، د . عبد الصبور شاهين ، علم اللغة ، السعران ، فقه اللغة ، د . اميل يعقوب ، ٢٩ دراسات فى علم اللغة ، د . بشر ، التعريف بعلم اللغة ، دافيد كريستل ت . د . حلمى خليل ، نظريات فى اللغة ، أنيس فريحة ، ص ٣٣ ، الأصول د . تمام حسان وغيرهم .

(٢) د . كمال بشر ، دراسات فى علم اللغة ، القسم الأول ، ص ١٢ ، ١٣ يترجم هذا المصطلح الى " اللغويات " فهى ترجمة حرفية للكلمة الانجليزية كما يترجم الى علم اللسان أو اللسانيات فى بلاد المغرب العربى ، ويقابل فى الفرنسية linguistiques (قاموس اللسانيات : المسدى) ص ٢٠٧ .

وثمة شيء آخر ذهب إليه الدكتور بشر مؤداه أن معرفتنا بالفيلولوجيا " فقه اللغة " كانت أسبق كثيرا من معرفتنا " بعلم اللغة " ذلك أن الجامعات العربية قد درجت في فترة ماضية على دعوة بعض المستشرقين لتولي مسئولية الدرس اللغوي في بلادنا ومعظم هؤلاء كانوا من العلماء المعنيين بالدراسات السامية المقارنة . وهذه الدراسات — كما هو معروف — دراسات فيلولوجية بالدرجة الأولى ، فلما ظهرت طلائع الدراسات اللغوية الحديثة لم يستطع الناس التمييز بينها وبين ما درجوا عليه وألفوه من الدرس المقارن .

لقد بدأ علم اللغة منذ أواخر القرن التاسع عشر يتخذ اسم العلم science ومع بداية القرن العشرين بدأت الدراسة اللغوية تتضح معالمها كعلم على يد مجموعة من علماء اللغة المحدثين الذين لعبوا دورا عظيما في تأصيل علم اللغة الحديث ، وظهر مصطلح " علم اللغة — linguistics " في مقابل فقه اللغة philology للتفرقة بين دراسة اللغة كوسيلة لدراسة الحضارة أو الأدب من خلال اللغة ، والنظر في اللغة لذاتها ، يقول أحدهم (١) " إن التفريق بين الاصطلاحين : " فقه " ، " وعلم " واجب للتفريق بين دراسة اللغة كوسيلة ، ودراستها باعتبارها غاية في ذاتها " ويؤكد دي سوسير De saussure " أن موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها والعبارة عنده كما جاءت في الترجمة الانجليزية مايلي :

"The true and unique object of linguistics language studied in and for itself ".

---

(١) هو الاستاذ " ألن Allen " الذي شغل كرسي فقه اللغة المقارن في ج كمبردج ، الأصول : د . تمام حسان ، ص ٢٧١ .

F. De saussure: Course in general liguistics, translated by Wade Baskin 1964, P. 232.

أما اللغة التى يدرسها علم اللغة فليست العربية أو الفرنسية أو الانجليزية فحسب ، إنما هى اللغة التى تظهر وتتحقق فى أشكال لغات كثيرة ، ولهجات متعددة وصور مختلفة من صور الكلام الإنسانى ، سواء أكان أصحابه متحضرين أم بدائيين ، وسواء كان ذلك فى عصور قديمة أم عصور حديثه ، " ومع أن اللغات التى يتكلمها الإنسان تختلف عن بعضها إلا أن هناك خصائص جوهرية تجمع فيما بينها ، وهذه الخصائص أن كلا منها لغة ، وأن كلا منها نظام اجتماعى تتكلمه جماعة معينة وعلم اللغة يستقى مادته من النظر فى اللغات على اختلافها "(١) وهو يحاول أن يفهم الخصائص التى تسلك اللغات جميعا فى عقد واحد .

إذًا ليس علم اللغة بمفهومه الحديث درس النحو والصرف والبيان ولا يعنى علم اللغة بلغة واحدة ، بل يدرس اللغة بصورة عامة على أنها ظاهرة إنسانية إجتماعية بسيكولوجية ، أو " هو جزء من درس المواصلات " ، وهو علم جليل القدر عظيم الفائدة فى توجيهنا اللغوى والفلسفى لأنه علم له أوثق الصلة بالفكر : الفلسفة والدين والأدب والعلم والفن ، فاللغة أساس جميع العلوم الإنسانية وهى طريق الإنسان لفهم الكون والحياة .

وبينما "فريق من العلماء (٢) فى الجامعات المصرية يأخذ بهذا التحديد لعلم اللغة ، فثمة فريق آخر لا يقرر التفرقة بين مفهومى " فقه " و "علم "(٣)

---

(١) د . كريم زكى : أصول تراثيه فى علم اللغة ، ص ٣٦ .

(٢) انظر على سبيل المثال دراسات :
د . محمود السعران ، علم اللغة ط . دار المعارف ١٩٦٢ .
د . كما بشر ، دراسات فى علم اللغة ط. دار المعارف ١٩٦٩ .
د . محمود حجازى ، مدخل الى علم اللغة ، دار الثقافة ١٩٧٨ .

(٣) من أمثال: د.صبحى الصالح ، دراسات فى فقه اللغة ، ص ٤٣
د . عبد الواحد وافى : علم اللغة ، ص ١٥ .

اللغة ، مع مابين المعنيين القديم والحديث من بون شاسع فى دلالة كل منهما على منحى من الدراسة اللغوية يختلف عن الآخر تمام الاختلاف وظل هذا الربط قائما الى أن عاد أحد مبعوثينا من الخارج ممن درسوا علم اللغة linguistics بالمعنى الذى أشار اليه دى سوسور وكريستل وأدركوا حقيقة الخلاف بين عبارة فقه اللغة القديمة وكلمة Philology ومن ثم بدءوا يكتبون عن الفرق بين العبارتين . وانفرد الاستاذ الدكتور ، حسن ظاظا برأى جدير بالمناقشة فى هذا الشأن عندما قال أنه يمكن استعمال كلمة علم اللغة للدلالة على علم اللغة العام general linguistics وهو العلم الذى يضع بين أيدينا القوانين العامة التى تجرى عليها اللغات ، فاذا ماأردنا أن ندرس لغة بعينها وفق مبادىء هذا العلم وقوانينه نكون قد انتقلنا من ميدان علم اللغة العام الى ميدان فقه اللغة لا بالمعنى العربى القديم ولا كترجمة المصطلح Philology وانما بمعنى دراسة لغة معينة وفقا للقوانين العامة ونتائج علم اللغة العام (١) وهذا وجه متقبل ورأى بديع.

وقريبا من هذا التصور يقرر الدكتور محمد على الخولى فى معجم علم اللغة النظرى أن مصطلح علم اللغة " علم يبحث فى اللغة من جميع جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمفرداتية والنفسية والاجتماعية والتطبيقية ، وقد أطلق عليه اللغويون أسماء عديدة مثل فقه اللغة وعلم اللسان واللسانيات والالسنيات . وينقسم هذا العلم الى علم اللغة النظرى والتطبيقى ، ومن فروع علم اللغة النظرى علم الأصوات وعلم الفونيمات وعلم اللغة التاريخى وعلم الدلالة وعلم القواعد الذى يحوى الصرف والنحو .

---

(١) التعريف بعلم اللغة ،كريستل ، ت. د . حلمى خليل ، ص ٢٧ .

أما علم اللغة التطبيقي فمن فروعه " صناعة المعاجم وعلم اللغة الآلي وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الإجتماعي وتعليم اللغات والتقابل اللغوي وتحليل الاخطاء " (١) .

وعلى أية حال فقد تطور مفهوم المصطلح مسايرا تطور الدرس اللغوى الحديث منذ بداية هذا القرن ، وقد ساعد هذا التطور على التمييز الواضح بينه وبين فقه اللغة ، فكما تحدد المفهوم فى دراسة اللغة ذاتها ومن أجل ذاتها وكل اللغات بقوانينها وخصائصها للمصطلح " علم اللغة " درس فقه اللغة كوسيلة لغاية أخرى .

كما أن فقه اللغة يتوسل بالمنهجين التاريخي والمقارن فى الدراسة على معظم الأحوال ويهتم فى ذلك باللغات القديمة والمكتوبة ، أما علم اللغة فيتوسل فى دراسته بالمنهج الوصفى والتاريخي أحيانا ويهتم بدراسة المنطوق والمكتوب معا . علاوة على أنه لم يعد أداة لفهم النصوص والنقوش القديمة ، ولم يعد وسيلة لفهم النصوص الدينية كما رأينا عند العرب والهنود . وإنما أصبح علما مستقلا " له مجالاته ومناهجه ، وقد احتل مكانته بين العلوم الأخرى ، وفى تصنيف ديوى العشرى ١٨٧٣ Dewey Decimal classification الذى قسم فيه علوم المعرفة إلى عشرة أقسام يحتل علم اللغة المكانة الرابعة من هذا التقسيم بين علمى الاجتماع وعلم الطبيعة " (٢) .

وجملة المحصول أن لعلم اللغة أثرا ظاهرا ومظهرا جليا فى تغيير نظر المحدثين الى اللغة وأثرها فى الفرد ، ويمكن ذكر ذلك على شكل نقاط من قبيل الإيجاز :

---

(١) د . محمد الخولى : معجم علم اللغة النظرى ، ص ١٥٧ .

(٢) Potter, Simon: Language in the modern world P.174.